﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦﴾ [الأنبياء: 66]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

مِنْ فيكَ أُدينُك

لَمّا تسبَّبَ عن قولهم: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ إقرارُهُم بأنَّهم لا فائدةَ فيهم، فاتَّجهت لإبراهيمَ ﷺ الحُجَّةُ عليهم، استأنف ﷻ الإخبارَ عنها بحكاية قول خليله مُنكِرًا عليهم، موبّخًا لهم: ﴿أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَفَتَعۡبُدُونَ﴾: عَبَدَ يَعبُدُ عبادَةً، ولا يُقالُ إلّا لِمَن يعبُدُ اللّهَ تعالى، يُقال منه ما تقدَّم، ويُقال: تعبَّد يتعبَّدُ تعبُّدًا، فالأوَّلُ خاصٌّ بعبادة الله، والمُتعبِّدُ: المُتفرِّد بالعبادة، والعبادةُ تدلُّ على لينٍ وذُلٍّ تجاهَ المعبودِ الحقِّ ﷻ، لذلك يُقال للمسلمين: عُبّادٌ؛ أيْ: يعبُدون اللّهَ تعالى[2]، والعبوديَّةُ: إظهارُ التَّذلُّل، والعبادةُ أبلغ منها؛ لأنَّها غايةُ التَّذلُّل، ولا يستحقُّها إلّا مَنْ له غايةُ الإفضال، وهو اللّهُ تعالى، ولهذا قال ﷻ: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23][3]، ومن صرف العبادة لغير الله فهو كافرٌ باللّه عابدٌ لغيره تعالى، وهو المرادُ بقوله تعالى: ﴿أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

2) ﴿يَنفَعُكُمۡ﴾: نَفَعَ يَنْفَعُ نَفْعًا، والاسْمُ: المنفعة، والنَّفعُ: ما يُستعانُ به في الوصولِ إلى الخيرات، وما يُتوصَّلُ به إلى الخير فهو خيرٌ، فالنَّفعُ خيرٌ، وضدُّه الضُّرُّ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ [الفرقان: 3][4].

---

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 442.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عبد).
(3) الرّاغب، المفردات: (عبد).
(4) الرّاغب، المفردات، والرّازي، مختار الصّحاح: (نفع).

3) ﴿يَضُرُّكُمْ﴾: ضرَّ يَضُرُّ ضَرًّا، والاسْمُ: الضَّرَر، والضُّرُّ: سوءُ الحال، إمّا في نَفْسِه لقلَّةِ العلمِ والفَضلِ والعفَّة، وإمّا في بَدَنه لعدمِ جارحةٍ ونَقْص، وإمّا في حالةٍ ظاهرة من قلَّة مالٍ وجاه، قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: 84]، يُقال: ضرَّهُ ضُرًّا: جَلَبَ إليه ضُرًّا[1]، وقوله تعالى: ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾؛ أي: في أيِّ وجَهٍ من وجوه النَّفع والضُّرّ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مَنْ لا ينفعُ ولا يضرُّ لا يستحقُّ أن يكون إلهًا معبودًا

توجَّه إبراهيمُ ﷺ بإقامةِ الحجَّةِ على قومِه الكافرين بعد اعترافهم بعدم قدرةِ أصنامِهم على النُّطق بأنَّ هذه الأصنام إذا كانت لا تنطقُ وهي لا تنفعُ ولا تضرُّ، فلِمَ تعبدونَها من دون اللّه؟[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علَّةُ فصلِ الجملة في صدر الآية:

تبكيتُ عبادةِ أصنام لا تنطِق

فُصلت الجملة: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ عن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ للاستئناف البياني؛ كأنَّهم قالوا: فكيف تأمرُنا بسؤالهم وهم مستمرّون على عدم النُّطق؟! فقال عند ذلك مُبكّتًا لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾[3].

بلاغةُ الاستفهام في الآية:

الاستفهامُ الإنكاريُّ على مَن يَعبُدُ ما لا ينفع ولا يضرُّ شيئًا

لمّا اعترف عُبّادُ الأصنام بأنَّها لا تنطق، جاءت فرصةُ إبراهيمَ ﷺ ليُدلي بحُجَّته القويَّة أمام بصائرهم لعلَّها تستفيقُ من غَفْلتِها، فقال بأسلوبِ الاستفهام الإنكاريّ على عبادتهم إيّاها وزائدًا عليهم بأنَّها لا تنفع ولا تضرّ ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا

(1) الرّاغب، المُفردات، والرّازي، مختار الصّحاح: (ضرر).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 174.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 104.

﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾؛ أيْ: أتعلمون ذلك فتعبدون من دون الله[1]، والبلاغةُ في أداء تلك المعاني مِن الإنكار والتوبيخ والتعجب ونحو ذلك بالاستفهام الذي محض معناه التنبيه؛ لأن قومه فقراء إليه بشدة؛ لعظيم غفلتهم وجهلهم ومكابرتهم ورفض للهدى بعد ما تبيَّنَ.

دلالةُ الفاء في ﴿أَفَتَعْبُدُونَ﴾:

من شأن المُحاجِّ في الحقِّ كمال اليقظة لخصمه

لَمّا اعترفَ القومُ بأنَّ الأصنام لا تستطيع النُّطق؛ واجههم إبراهيمُ ﷺ مرشدًا إيّاهم، ومُفرِّعًا على اعترافهم بأنَّها لا تنطق بالاستفهام؛ أيْ: فكيف يعبدونها وهي على تلك الحالةِ الصَّمّاءِ البكماءِ لا حولَ لها ولا قُوَّة؟![2] فترتيب إنكار العبادة على قولهم المذكور من الحكمة والبلاغة في المناظرة والحِجاج.

سرُّ إيثارِ ﴿أَفَتَعْبُدُونَ﴾ مادَّةً وصيغة:

إظهارُ التَّذلُّلِ لا يكونُ إلّا لمَنْ له غايةُ الإفضال

آثر النَّظمُ الكريمُ اسْتعمالَ الفعل ﴿أَفَتَعْبُدُونَ﴾؛ لأنَّ القومَ علموا أنَّ ما هم عليه باطلٌ؛ أيْ: أتعلمونَ ذلك فتعبُدون غيرَ الله ﷻ؟ وذلك أن حالهم وموقفَهم مِن الأصنام يدلُّ على كمال خضوعهم لها، والألصق بذلك العبادة، ثم هم فوق ذلك مستمرّون في إذلالِ أنفُسِهم وإهانةِ عقولِهم لجماداتٍ ليس لها أيُّ إفضالٍ أو إنعامٍ على عابديها وغيرِهم[3].

فائدةُ التقييد بجملة: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾:

هـل يستوي اللهُ وآلهتهم المزعومة؟

نبَّه إبراهيمُ ﷺ قومَه بقولِه تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ على أنَّ جميعَ الرُّتَبِ تتضاءلُ دون رتبة الإلهيَّة؛ أيْ: من أدْنَى رتبةٍ من تحتِ رُتبةِ المَلِكِ الَّذي لا ضرَّ ولا نفعَ إلّا بيدِه لاستجماعه صفات الكمال[4]،

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 65، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 104.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 104.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 65.
(4) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 442.

فهذا القيد المشتمل على اسم الجلالة المسيطر على جميع الأسماء والصفات مِن شأنه الزيادةُ في تحقير تلك العبادة والمعبود والعابد، وتقويةُ معاني الاستفهام؛ حيث يلفتهم إلى الموازنة بين معبودهم وبين الإله الحق اللّه ﷻ الذي بيده جلبُ كلِّ نفع، ودفعُ كلِّ ضررٍ.

سرُّ تقديم النَّفع على الضُّرّ:

لَمّا كان القومُ في محلّ ضرورة بسبب تكسيرِ أصنامهم، راجين مَنْ ينفعُهم في ذلك، قدَّم النَّفعَ فقال: ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾[1] والأصلُ في المعبودِ بحقٍّ أنَّه يجلبُ النَّفعَ لعابديه أوَّلًا، ثمَّ يدفعُ الضُّرَّ عنهم ثانيًا، فإذا لم يحقّق لهم الأوَّل، فكيف يقيهم من الثّاني؟! ثمَّ كيف يُتوجَّه إليه بالعبادة وهو دون الرُّتَبِ كلِّها؟

المعبودُ بحقّ يجلبُ النّفعَ لعابديه قبلَ دفعِ الضُّرّ

بلاغة الطِّباق في الآية، وفائدةُ المضارعة فيها:

النَّفعُ والضُّرُّ من أنواعِ طباقِ الإيجاب، وتتجلَّى بلاغةُ هذا النَّوع هنا في قولِه تعالى: ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ في إثارةِ ذِهْنِ أولئك الَّذين يعبدون الأصنام وجَذْبِ انتباهِهم، وتقوية المعنَى المُراد من هذا التَّضاد؛ وهو أنَّ كلًّا من الضِّدَّيْن غيرُ مُتحقِّق في المعبودين بالباطل لا في جلبِ نَفْعٍ ولا في دَفْعِ ضُرٍّ ليخافوه[2]، وهذا الطباق امتدادٌ للموازنة بين معبود إبراهيم ومعبودهم، والتي فتَح البابَ لها القيدُ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وبهذا الطِّباق يمتهد مشهد الموازنة؛ إحسانًا إليهم بدعوتهم إلى إطالة النَّظر؛ لعلهم يراجعون أنفسهم، فيرجعون إلى الحقِّ.

جَلْبُ النَّفعِ ودَفْعُ الضُّرّ من خصائص الإله الواحد المعبودِ بحقّ

وصيغة المضارع تشير إلى الدَّليل على نتيجة الموازنة؛ فكلما جدَّدَ الواحدُ منهم رجاءَ جلبِ نفعٍ أو دفعِ ضُرٍّ من تلك الأصنام لم يجد شيئًا؛ فيعلم أن اللّه معبودَ إبراهيم هو الإله الحق؛ الذي يكون منه ما انتفَى عن هذه الأصنام.

في المضارعة دليل على دوام انقطاع رجائهم من الأصنام

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 442 - 443.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 443.

دلالةُ تنكير ﴿شَيْـًٔا﴾:

الأصنامُ لا قدرةَ لها على نفعٍ بشيءٍ أو دفعِ ضرٍّ لأيِّ شيء

جاء قولُه: ﴿شَيْـًٔا﴾ نكرةً للدَّلالة على عموم أيِّ شيءٍ حتَّى لو كان في غاية الصِّغَر والقِلَّةِ ممَّن يستطيعه العابدون، فكيف بالمعبودين وهم لا يقدرون على هذا الشَّيء الحقير في جلبه إن كان نفعًا أو دَفْعِه إن كان ضُرًّا؟! وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ على تحقير شأن الأصنام والازْدراء بها[1]؛ فالتعبيرُ بالشيء مع تنكيره إبلاغ في بيان حقيقة معبود القوم.

بلاغةُ الإيجاز في حذف ﴿شَيْـًٔا﴾ في ﴿يَضُرُّكُمْ﴾:

مَنْ لا ينفعُ بشيءٍ ولا يضرُّ بشيءٍ لا يُعبَد قطعًا

لم يذكرِ النَّظمُ الكريم لفظ (شيئًا) بعد ﴿يَضُرُّكُمْ﴾، كما فعله في جملة: ﴿لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا﴾ وهذا من بلاغة الإيجاز بالحذف، حيث دلَّ الأوَّلُ المذكورُ على الثّاني المحذوف، فإذا كانت الآلهةُ المزيَّفةُ لا تنفعُ شيئًا فهي من باب أوْلى لا تدفع ضرّ أيّ شيء؛ فهذا مِن شواهد فنِّ الاكتفاء، والإتيانُ به مع النَّفع أوَّلا دون الثاني مؤسس على تقديم ذِكْر النفع على ذِكْر الضرر؛ لنكتة بلاغية، ويمكن أن يكون المعنَى في هذا الحذف: وما تعبدونه من دون الله لا ينفعكم بشيءٍ إن عبدتموه، ولا يضرُّكم بشيء إن تركتموه، فإنَّ العلم بحاله المُنافية للأُلوهيَّة ممّا يُوجبُ الاجتنابَ عن عبادته قطعًا[2]، وهذا من مآل معنى الكلام، فلا حاجة إلى تقدير هذه المحذوفات.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العبادة والدُّعاء:

العبادةُ أعمُّ من الدُّعاء، وهو جزءٌ منها مع خضوعٍ وتذلُّل لله في كلَيْهما

العبادةُ: غايةُ الخضوع، ولا تُستحقُّ إلّا بغاية الإنعام، ولهذا لا يجوز أن يُعبَدَ غيرُ الله تعالى، ولا تكون العبادةُ إلّا مع المعرفة بالمعبود، ولا تكون إلّا للخالق ﷻ، فهي تدلُّ على لين وذُلٍّ تجاه

(1) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 88.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 714.

المعبود ﷻ، وهي غايةُ التَّذلُّل، ولا يستحقُّها إلّا مَن له غايةُ الإفضال، وهو اللهُ ﷻ[1].

والدُّعاءُ: طلبُ الفعل دعا يَدْعُو، وهو من معاني العبادة لله، ودَعَوْتُه: إذا سألتُه، وإذا اسْتغثتُه، قال تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: 56]، والدُّعاءُ إن كان لله تعالى؛ فهو مثلُ المسألة معه اسْتكانةٌ وخضوع، وإذا كان لغير الله جازَ أن يكونَ معه خضوع، وجاز ألّا يكونَ معه ذلك، كدعاء النَّبيّ ﷺ أبا جهلٍ إلى الإسلام لم يكن فيه اسْتكانة، ويُعدَّى هذا الضَّربُ من الدُّعاء بـ (إلى) فيُقال: دعاه إليه، وفي الضَّربِ الأوَّل بالباء، فيُقال: دعاهُ به، تقول: دعوتُ اللهَ بكذا، ولا تقولُ دعوته إليه؛ لأنَّ فيه معنى مُطالبتِه به وقَوْدِه إليه، والدُّعاءُ قد يكونُ بعلامةٍ من غيرِ صوتٍ ولا كلام، ولكن بإشارةٍ تُنبئ عن معنى: تعال، ولذا يُسنَدُ الدُّعاء إلى الله، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [البقرة: 221][2].

النَّفع والإفادة:

النَّفعُ ما يُتوصَّلُ به إلى الخير، فالنَّفعُ خير، وقد يكون من غير قصدٍ من جهة النّافع، تقول: ينفعني العدوُّ بما فعله بي إذا أراد بكَ ضرًّا فوقع نفعًا، والفائدةُ: ما اسْتفدْتُه من علمٍ أو مالٍ، وجمعُه: فوائد، وأفَدْتُ المالَ: استفدْتُه، وأعطيتُه، وهما ضدٌّ، وأفدتُه: اسْتفدْتُه، فالإفادةُ تكون لك، وتكون لغيرك، تقول: أفدتُ فلانًا؛ أيْ: أعطيتُه ما يُفيدُه، وهما يتفايَدان بالمال: يُفيدُ كلٌّ صاحبَه[3].

النَّفعُ أعمُّ من الإفـادة، وهما يـشـتركـان في إيصالِ الخير

الضُّرّ والضَّرّ والضَّرر والضِّرار:

الضَّرُّ: خلافُ النَّفع، ويكونُ حَسَنًا ويكون قبيحًا، فالقبيحُ: الظُّلم

(1) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 349، والرّاغب، المفردات: (عبد).
(2) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 231، 294، 534 - 535، والكفوي، الكلّيّات: 2/ 333، والجرجاني، التّعريفات، ص: 38، والرّاغب، المفردات: (دعا).
(3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: (فاد).

تشترك فيما هو خلاف النَّفع، وتختلف من حيث المبالغةُ والعددُ والابْتداءُ والجزاء

وما بسبيله، والحسنُ: شربُ الدّواءِ المرِّ رجاء العافية، والضُّرُّ بالضَّمّ: الهُزالُ وسوءُ الحال، ورجلٌ مضرور: سيِّئ الحال، يُقال: ضرَّه ضُرًّا: جلب إليه ضُرًّا، ومن وجْهٍ آخرَ أنَّ الضُّرَّ أبلغُ من الضَّرَر؛ لأنَّ الضَّررَ يجري على ضَرَّه يَضُرُّه ضَرًّا، فيقعُ على أقلِّ قليل الفعل؛ لأنَّه مصدرٌ جارٍ على فعلِه، كالصِّفةِ الجاريةِ على الفعل، والضُّرُّ بالضَّمِّ كالصِّفةِ المعدولةِ للمبالغة[1]، والضَّررُ: أي لا يضرُّ الرَّجلُ أخاه فيُنقِصُه شيئًا من حقِّه، والضِّرار: فعالٌ من الضُّرّ؛ أيْ: لا يُجازيه على إضراره بإدخالِ الضَّررِ عليه، والضُّرُّ: فعل الواحد، والضِّرار: فعل الاثْنَيْن، والضُّرُّ: ابتداءُ الفعل، والضَّررُ: الجزاءُ عليه، والضُّرّ: ما تضُرُّ به صاحبَك، وتنتفعُ به أنت، والضِّرارُ: أن تضرَّه من غير أن تنتفع، وقيل: هما بمعنًى واحد، وتكرارُهما للتَّأكيد[2].

(1) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 328، والرّاغب، المفردات: (ضرر).
(2) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 328، وابن الأثير، النّهاية: (ضرر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»